نحو خطاب إعلامي عربي لمواجهة الطائفية

م.محمد رشيد صبار(*)
aldolame@yahoo.com

الملخص :

نستعرض في بحثنا هذا لمشكلة الطائفية التي باتت بمفهومها الأوسع الديني والعِرقي والمذهبي داء العصر الذي يمكن ان يقضي على أكثر الدول تماسكاً وقوة ان استعرت أوزارها في مجتمع أو دولة ما وقد كان لوسائل الاعلام الدور الكبير في تسعير الطائفية في المنطقة العربية وذلك لارتباطها بأجندات سياسية الامر الذي يستوجب بالمقابل ان يكون هنالك دور للإعلام العربي في مواجهة هذه الفتن الطائفية وهو جوهر بحثنا هذا والذي تكلمنا فيه ايضا" عن الخطاب الاعلامي العربي وما يعانيه وكيف يجب ان يكون أثره في هذا المجال الى جانب علاقة الطائفية بالاستعمار والطائفية والسياسة.

المقدمة:

يعيش العالم الآن " عصر الإعلام " لما لوسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية من تأثير جماهيري واسع، بفضل " ثورة الاتصالات " التي حولت العالم إلى قرية واحدة في عصر العولمة، وما زاد من أهمية الإعلام في التأثير محليا ودوليا ظهور العديد من الأشكال الإعلامية الجديدة التي لا يمكن السيطرة عليها أو حصرها في حدود جغرافية أو مؤسساتية ومنها الإنترنيت، اذ تبرز في هذا السياق الفضائيات والمواقع الإلكترونية والمدونات وغيرها، والتي تبث على مدار الساعة آلاف الرسائل الإعلامية التي تؤثر في توجهات البشر وتغذي

(*)مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية/جامعة بغداد.

حاضنتهم الفكرية وتسهم في تحديد خياراتهم ومن ثم تلعب دورا أساسيا في واقع الأمن والاستقرار في العالم كله.

من الواضح تماماً أن الإنفاق الحكومي على الإعلام في كثير من دول العالم اصبح كبيراً جداً قد يساوي أو يفوق ما تنفقه بعض الدول على مشاريع التنمية الاقتصادية أو العسكرية، وهو إعلام موجه لخدمة مصالح تلك الدول أو بالأحرى مصالح من وراءهم من أصحاب القرار الذين يحركون الدمى على مسارح التنفيذ الحكومي. لقد صار الإعلام السمة المميّزة للعصر وأضحى تأثيره في الحياة طاغياً لا يستطيع معه أيّ فرد في أيّ ركن من أركان الدنيا أن يتجنّبه، إنّه يؤثر في العقول ويحركها ويغيّر اتجاهات الأفراد ويوجّههم إلى حيث يشاء، بل هو يصنع الأحداث والأخبار، وبدأ يبرز دوره كسلطة رابعة في العالم. إنّه يخطو بالشعوب والدول ويتقدّم بها إلى الأمام وتلك هي مهمة الإعلام الرشيد، أما الذي يخطو بها إلى التخلف والتفكك والصراع المادي فهو ما يصنعه إعلام ظلامي غير مستنير.

اليوم الإعلام هو الذي يرسم ما يمكن أن نطلق عليه الخريطة الإدراكية الوجدانية للشعوب فتبرز بالتفاعل معه شعوب مستنيرة متكاملة الشخصية لها فعالياتها وتحقق ذاتيتها ووجودها، وأخرى تعاني من الخواء الوجداني والإدراكي أمام ضغوط توجهات إعلامية تسعى إلى تجريد الأفراد من هويتهم وانتماءاتهم وقيمهم ومعتقداتهم وثقافتهم الذاتية. لقد مرت على منطقتنا العربية في العقود الثلاثة والنصف الماضية، أي ما بين (١٩٧٩-٢٠١٤)، أحداث سياسية عديدة، كانت لها تداعيات كبيرة وخطيرة على المنطقة، كالحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠وحرب الخليج الثانية ١٩٩١ واحداث ١١ سبتمبر٢٠٠١ ثم احتلال العراق في ٢٠٠٣ ومن ثم احداث التغيير في المنطقة العربية التي بدأت في ٢٠١٠ وما صاحبها من ارتدادات كبيرة وتحولات مهمة تمثلت في احداث مصر وسوريا وليبيا واليمن ولا زالت المنطقة مرشحة للمزيد منها .كل تلك الاحداث ساهمت في خلق حالة من التأجيج الطائفي لم يشهده عالمنا العربي من قبل، وقد صاحبه أيضا تدخل دولي وإقليمي من اجل استثمار هذه النزاعات وتغذيتها من اجل مصالحها تخندق طائفي ، واستقطاب سياسي حاد، ونزاع طائفي

محموم، مما اسهم في بروز تيارات دينية متشددة ، وانقسام حاد في لبنان والعراق وسورية واليمن.إن تلك الأحداث جعلت المنطقة اليوم على حافة هاوية الصراع الطائفي.والحقيقة أنه لم يعد بلدا عربيا محصنا من خطر اندلا ع النزاعات الداخلية، فسوريا البلد الذي انزلق إلى هذه الحرب العمياء، لم يكن في مخيلة احد ان يصل إلى ما وصل اليه.وهذا مؤشر كاف على إن كل البلاد العربية في غير مأمن من هذا الخطر الذي لم يكن للإعلام العربي دورا "واضحا" في مواجهته بل العكس كان لوسائل الاعلام دورا "في اثارة الطائفية وتاجيجها، الامر الذي يستوجب موقفا واضحا لمواجهة هذه التحديات من قبل الاعلام العربي وهي فرضية بحثنا هذا الذي تناولنا فيه ايضا" الخطاب الاعلامي العربي ومعوقاته وما يجب ان يكون عليه لمواجهة الطائفية الى جانب علاقة الاستعمار بالطائفية والسياسة وتوظيفها للطائفيةمن اجل مصالحها .

اولا: الخطاب الاعلامي العربي :

شهد العالم العربي في السنوات القليلة الماضية تطوراً ملحوظاً في مجال وسائط الاتصال والإعلام الحديثة، وقد دخل العرب في هذا العصر الإعلامي الجديد عن طريق استيراد التقنية والتكنولوجيا دون المشاركة في إنتاجها وإبداعها، والاكتفاء بشراء واستهلاك منتجاتها وسلعها، الأمر الذي أدى إلى بروز وانتشار القنوات والفضائيات العربية، خصوصاً بعد شيوع تقنيات علمية حديثة تمكن الإنسان من استقبال بث القنوات المختلفة من دول متعددة، دون وجود أية قدرة لدى أجهزة الرقابة المحلية العربية على القيام بإجراءات المنع أو التحكم بقنوات البث الإعلامي المختلفة.ويُلاحظ في هذا المجال أنه على الرغم من امتلاك الدول العربية كلها لقنوات بث إعلامية فضائية فإن البرامج المشاهَدة بكثرة، والتي يتابعها ويقبل عليها المشاهد العربي بشغف تكاد تنحصر بمحطة أو محطتين على الأكثر، أو ربما يعزف –هذا المشاهد– نهائياً عن متابعة كل تلك القنوات ليشاهد القنوات الأخرى الأجنبية غير الرسمية. أن إحجام الجمهور الأوسع في عالمنا العربي عن متابعة إعلام الدولة الحكومي كمشهد بارز من مشاهد الإعلام العربي المعاصر يعود في جانب منه إلى طبيعة السياسات

الإعلامية المطبقة في الدول العربية ، وكذلك نلاحظ أن السبب في كثرة المشاهدين العرب الذين يتابعون القنوات الفضائية الأخرى (غير الرسمية محلياً ودولياً) يعود إلى وجود مساحة واسعة من الحرية السياسية والفكرية في التعبير عن الرأي، وحرية ممارسة النقد والمحاسبة، وعرض مختلف الآراء والطروحات. أيأنها (تلك المحطات) قادرة على أن تتعامل بحرية كبيرة جداً مع قضايا الاختلاف، ووجهات النظر المتعددة إضافة إلى الرغبة الفطرية الملحة للإنسان في تذوقه الطبيعي لطرق جديدة في التعبير والبحث عن ما هو جديد في الخبر والمعلومة والمشهد [١].

للإعلام قيمة كبيرة تنتمي إلى دائرة المخاطبة الإنسانية بالدرجة الأولى. أي أنها تخاطب العقل والنفس الإنسانية. وهذا بحد ذاته معيار أخلاقي عالي المستوى، يدخل دخولاً عضوياً في نظام القيم والمبادئ الحضارية العليا على المستوى الإنساني كله. وهو –بهذا المعنى– سلطة معرفية وأخلاقية كاملة، تدعو الإنسان إلى شيء، وتمنعه عن ممارسة شيء آخر.عن طريق القراءة العامة للخطاب الإعلامي العربي ومدى تأثيره على الجمهور فإن أول ما يتبادر إلى ذهن المتابع المتخصص لواقع الخطاب الإعلامي العربي أنه في جملته يفتقر إلى الرؤية الواضحة المتماسكة التي يُقدّم بها هذا الخطاب، وبخاصة في القنوات الإخبارية العربية. والافتقار إلى هذه الرؤية هو ما جعل الخطاب الإعلامي غير قادر على تشكيل الوعي العام وبناء هوية سياسية في عقل الجمهور . الخطاب الإعلامي العربي هو خطاب أحداث، وليس خطابا بنيويا ونتيجة لغياب هذه الرؤية في مضمونه فقد انعكس ذلك على ظاهرة الاضطراب في استخدام المصطلحات التي تستقبلها الجماهير من الوسيلة الإعلامية ومثالا على ذلك تعامل الخطاب الإعلامي العربي مع قضية الإرهاب لا نجده ينفك عن الرؤية الغربية لمفهومه ومصطلحاته، فهذا الخطاب يعيش أزمة مصطلح، يستورد المصطلح كما يُروج له في وسائل الإعلام الغربية ولايغرس مفهومات جديدة لهذه المصطلحات المستوردة التي تُسوّق لها الماكينة الإعلامية الغربية، بوصفها المهيمنة على التدفق المعلوماتي العالمي، فأصبحنا نسمع مصطلحات مثل (الإسلام الليبرالي)، (عرب إسرائيل)، (مستوطنات)، (عرب سنة)، (عرب

شيعة) وغيرها[٢]. بل حتى داخل المنطقة العربية نجد أن الخطاب الإعلامي السياسي لا يخلو من مصطلحات يفرضها السياسي نفسه لغايات حزبية أو مذهبية أو أيديولوجيا ضيقة لا تخدم المصالح المشتركة للمنطقة العربية. هذا التوجه أسهمت فيه فضائيات تعمل على إنتاج برامج خاصة لتشويه نقاء المفردات الإعلامية المهنية، وتوجيهها إلى مضامين وأنشطة ذات دلالات استباقية تسهم في تضليل الرأي العام، وتزييف وعي الجمهور بحقيقة الحدث السياسي موضوع الخطاب الإعلامي[٣]. كما ان هناك سبب آخر أضعف تأثير الخطاب الإعلامي العربي في جملته، وهو النزعة الإخبارية المشحونة بانفعالات سخونة الحدث . فغالباً ما تلجأ القنوات الإخبارية العربية مثلاً إلى التركيز على جديد الأخبار المرتبطة بالحدث موضوع التغطية الإعلامية، وحشد الضيوف المتحدثين، والتقارير الإخبارية الآنية ذات المهنية العالية، وغير ذلك من عناصر ترفع من وتيرة التغطية الإعلامية وزيادة سخونتها وإلهاب مشاعر المشاهدين، وهذا مجهود رائع، لكن المتابع المتخصص يسأل في النهاية: إلى أي مدى أحدثت هذه التغطية الإعلامية المتميزة الأثر الذي ينبغي أن تحدثه في الوعي والمواقف والسلوك[٤].

المعوقات التي يعاني منها الخطاب الإعلامي العربي:

ان ما يعاني منه الخطاب الاعلامي العربي هو بسبب الانظمة السياسية حيث أخذت الحكومات والأحزاب المهيمنة الآليات والوسائل التي تمهد لها تحقيق حيازة الشرعية وهذا لا يتحقق إلا عبر صياغة الرأي العام فان الرأي العام الذي تبلوره وسائل الاتصال هو ذلك الرأي الذي تؤسسه الدولة، أي المؤسسة السياسية، وفق ما يخدم المصالح الآنية والمستقبلية وهذا يظهر في بنية العلاقات التي أقامتها الدولة مع الأعلام، والقيم التي رسختها في سلوكياته إذ إن الأعلام احد آليات السلطة السياسية في عالمنا العربي وهذا يعود بشكل إلى امتلاك ألدوله بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر عبر التشريعات التي تعقد حركة الأعلام الخاص.، وكان لهذه السياسة اثر بعيد المدى على الإعلاموقد تركت تلك السياسة اثر بعيد في طبيعة ذلك الأعلام الذي انقسم بالساحات العامة التالية[٥]:

١- إن سياسات الاتصال والأعلام لم تدمج على الملائم في سياسات التنمية للقطرية أي انه كان بعيداً عن الدور الفاعل في تطور التنمية عبر النقد والمتابعة التوعية.

٢- تفتقر سياسات الاتصال العربية الأساس العلمي من المعلومات والوثائق والأبحاث والميزانية ولعل هذا يتفق مع كونها وسائل دعاية للنظام لا تميل إلى الموضوعية والعلمية بل تعتمد الآنية والارتجال الذي هو طبع الحكومة والحياة الاقتصادية وبالتالي الأعلام.

٣- إن سياسات الاتصال العربية لا تستند إلى خطط واستراتيجيات طويلة المدى. وهذا يعني الآنية والمرحلية في السياسة الإعلامية.

٤- الأعلام العربي هو إعلام رأسي يهبط من أعلى إلى أسفل وذلك يرجع إلى مركزيته وتوجهه الدعائي والذي يخدم رأس النظام وهذا يتخذ من الفرد الاستثنائي محل كل اهتمامه الأول، لعل تلك الملامح ساهمت في ترسيخ السلطة القائمة وخلق سلوكيات عامة مرتهنة لهذا الأعلام في وقت تمارس القوه والإكراه الدور المرافق لهذه العملية، مما خلف رأي عام ممزق خاضع للارتهان. ان تلك السياسة رسخت قيم سلبية إذ يمكن إن نلمس إن هذا الأعلام أشاع نمط قيمي معين نرصد فيه[٦]:

أقيم سلبية كرست النظرة القائمة على التمركز حول الذات وعدم القبول بالأخر فكر أو نظام اجتماعيا واعتقاديا في ظل شيوع نمط التعظيم الذي يصل إلى حد التقديس السياسي وهذا ما يظهر في حاله احترام السلطة في الوعي العربي سرعان ما تتحول إلى هيبة ثم خوف وتعظيم يؤدي تدرجيا إلى استبعاد أي احتمالات للمراجعة والمساءلة أو المطالبة أو المحاسبة أو المراقبة وتلاشيها ومن ثم فان الاعتمادية المفرطة في امتدادها العام على الصعيد النفسي والسلوكي، تؤدي في الذهن العربي إلى التهيؤ العام أو المنطقي لقبول حالة الاستبداد والحكم القهري المطلق ويقتصر أمل الفرد كله في هذه الحالة على مجرد إن يكون المستبد "عادلاً" ومع التسليم بشيوع نفسية "الإذعان للسلطة" مهما كانت مطلقه أو استبدادية تقوم على ألوان شتى من أساليب العنف والقهر التي وان خلقت طاعة ألا أنها طاعة شكليه وسطحيه تخفي

وراءها مشاعر ومواقف مغايرة تماما تم كبتها بفعل أجهزه أمنيه ذات نفوذ استثنائي، في وقت ان من شروط الاتصال الصحيح توفر ثلاث عناصر[٧]:

١- وجود ثقافة بديله عما هو قائم.

٢- وجود وسيلة اتصال تنتقل عن طريقها الثقافة .

٣- وجود فرد ومجموعه من الأفراد أو مجتمع يمكن إن يستقبل تلك الثقافة

لكن الذي نراه غياب ثقافة بديله تحقق التنمية البشرية و تعمق السلوك الديمقراطي والتعددية، بل أنها ذاتها تلك الثقافة الاستبدادية التي تعمل أجهزة الدولة على دعمها مما خلقت اغتراب لدى المتلقي الذي تولد لديه شعور بالاستلاب الذي يخلق شعور بالغربة إزاء السياسية والحكومة في أنها تدار من قبل الآخرين ولمصلحة الآخرين وفقا لمجموعه من القواعد غير العادلة .

ب. قيمة الثنائية الحدية: قيمة أخرى تصور إن ثمة أنموذجين متناقضين لا يجتمعان معا أبدا أي التفكير بطريقة (من ليس معنا فهو ضدنا) ،وهذه الخاصية بالذات من شانها إن تقوض الممارسة الديمقراطية لأنها تؤدي إلى غياب الحلول الوسطي في التفكير والتحول المفاجئ إلى النقيض أنها سياسة متبعة في الحكم انتقلت إلى الأعلام تقوم على الإقصاء والتهميش للخصوم ونعتهم بكل صورة النمطية . أنها أزمة ديمقراطية لن تسمح للثقافة العربية إن تندمج بوعي الناس يمنحوها قوتها المادية في ظل الأعلام غير الحر الذي تتلاعب فيه السلطة [٨].

ج- تكريس قيم ثقافة الذاكرة :في الوقت الذي تمثل أهداف الأعلام المعرفية في نقل المعلومات والخبرات والأفكار بقصد إيقاظهم وتنوير عقلياتهم بهدف رفع مستوياتهم الفكرية والعقائدية والعملية ، و الهدف المرجو في النهاية تحقيق تكييف لمواقفهم إزاء الحوادث والوقائع الاجتماعية وتحقيق تجاوبهم مع الاتجاهات الجديدة وإكسابهم المهارات المطلوبة ،نلمس الأعلام عندنا غالباً ما يعمل على تكريس قيم الذاكرة القائمة على الأتباع والخضوع بما تعلنه الدعاية في سردها الرسمي عبر وسائل اتصالها المتنوعة والتي تستخدم احتكارها لحق الكلام في إيجاد أصلا يبرر ما تفكر فيه أو ما تسلكه انه يشكل ارغامات للوعي عبر

اعتمادها الموروث في تسويغ سلطتها وعبر خلق نماذج فكرية وقيميه تتغلغل في وعي المواطن لتعمل على توجيه أفكاره وأعادت صياغتها، مخلفة تأويلات رسمية للتاريخ والواقع والمستقبل تتفق والسرد الرسمي للسلطة التي يعتمد الأعلام الرسمي المعتمد على ما يطلق عليهم" مهنيو المعرفة " من أساتذة جامعات ورجال دين الموظفين لدى السلطة يبررون ما تريد و يسبغون علية الشرعية ، حتى يبدو علمي وشرعي في وقت هو خارج هذا كله انه إنتاج تلك الحبكة التي تمكنت من خلقها السلطة وتعمل على توظيفها في إرغام وعي المواطن على تقبل أساطير السلطة المعاصرة القائمة على تمجيد الذات الفردي ،في الوقت الذي استثمر الأعلام وظائف الاتصال الترويجية لمفاهيم سياسية معينه فانه اخفق في خلق رأي عام مقتنع بما لدية من تسويغات وهذا يمثل إخفاق للوظيفة الاقناعية التي تهدف من وراء الاتصال إلى إحداث تحولات في وجهات النظر السائدة حول الواقع السياسي المحلي والعالمي والاقتصادي والفكري وأيضا قاد هذا إلى إخفاق الأعلام من ضمان المشاركة الثقافية التي تهدف إلى نقل التراث الثقافي و تحقيق التواصل والتكيف الاجتماعي في الحياة التي يعيشها المواطن العربي بما فيها من تحولات وأخطار داهمه هذا بفعل غياب العقلانية في الأعلام والسياسة وهيمنة الرؤية اللاتاريخية اللانقدية مما خلف عسرا في الاندماج الذي يعانيه المجتمع أصلا. مما أدى خلق شخص خاضع أو مغترب عن الواقع أو متأثر بالأخر تأثر لما لديه يجد فيه بديل من واقع متردي وبالتالي، فإننا نلاحظ أن الإعلام العربي ما يزال في غالبيته يعاني من ضعف بنيته التحتية ومضامينه، وتعرقله قوانين وتشريعات تحد من حريته وفاعليته وتؤثر على دوره في أداء رسالته الحضارية. وباستثناء بعض الفضائيات العربية التي تمكنت من توفير كفاءات مهنية معترف بها وهامش من الحرية النسبية الضروري للنجاح والاستمرار، ما يزال الإعلام العربي يعاني العديد من المشكلات تجعله دون مستوى تحدي بناء مجتمع المعلومات. إذ لا يزيد عدد الصحف في البلدان العربية عن **٥٣** صحيفة لكل **١٠٠٠** شخص، مقارنة مع **٢٨٥** صحيفة لكل **١٠٠٠** شخص في الدول المتقدمة. والصحافة العربية عموماً محكومة ببيئة تتسم بتقييد حرية التعبير والرأي. وما التعطيل عن الإصدار والضبط والمصادرة والتعرض

لعقوبة الحبس أو الإيقاف عن ممارسة المهنة، سوى أمثلة عن الصعوبات التي تواجهها الصحافة ووسائل الإعلام في الدول العربية [٩].

إما النتائج التي نخرج بها هنا فهي[١٠]:

١- تعميق النظرة المحدودة والقريبة المدى، وعدم السعي نحو المكاسب والمصالح بروح واعية وثّابة، ونفس طويل بعيد عن الكسب الفوري واللحظي. ويبدو ذلك جلياً عن طريق اتباع سياسة تضخيم الشعارات والغايات التي تجاوزها الواقع واستهلكتها الأيام، وأثبت الزمن والتجارب عقمها وفشلها، وعجزها عن بناء الحياة والإنسان الفاعل، والواعي، والقادر على المساهمة المنتجة في عملية الاستثمار والبناء الحضاري على صعيد أمته ومجتمعه.

٢- منع الشعوب من الاطلاع على خفايا الواقع، وبواطن الأمور والحقائق التي من المفترض أن يكون المجتمع كله مطلعاً عليها، باعتبارها تمس حاجاته الحقيقية في العيش، والأمن، وتطبيق القوانين. والحجة الأساسية في سياسة المنع التي يتبعها إعلامنا العربي الرسمي والخاص في تعامله مع شؤون وقضايا الوطن و المواطن، تعزف دائماً على نغمة "الحفاظ على أمن الأمة وأسرار الوطن"، وضرورة عدم إطلاع الرأي العام عليها. لأن ذلك يمكن أن يفتح المجال لوقوعها في أيدي أعداء الأمة الذين يتربصون بنا ، وبالتالي سيكون الفشل هو النتيجة الطبيعية لتلك السياسات والخطط السرية الخاصة ببناء الدولة والمجتمع.

٣- تعزيز ودعم ممارسة النظرة الأحادية الرسمية في فهم معنى الوطنية والانتماء للدولة والمجتمع، وحصر ذلك في نطاقات ضيقة ومحدودة، تجعل من انتماء المجتمع إلى الدولةوخدمتها، وإطاعتها طاعة عمياء، وعدم نقدها، والخضوع المطلق وغير المشروط لها هو المقياس الأوحد الذي يعبر عن هذه الوطنية، ويحققها. أما انتماء الدولة للمجتمع، وتمثيلها له، وخدمتها لأفراده، وبناؤها لمؤسساتها المدنية، وخضوعها لمبدأ المحاسبة والنقد، ومداورة

السلطة، وقيام الحكم الصالح، فليس شرطاً ضرورياً لبناء مفهوم حضاري للوطنية والمواطنة الحقيقية، يمكن أن يجعل الدولة شرعية ووطنية في نظر أفرادها [١١].

٤- المساهمة الإعلامية الواضحة في تغييب الحس النقدي، وهدم ركائز المحاسبة والنقد في كل مواقع العمل ، والاهتمام البالغ بالخطابات العاطفية اللاعقلانية المليئة بالانفعالات الساذجة والطارئة على ساحة المشاعر والأحاسيس الذي يساهم مساهمة فعالة في إقصاء خطاب المحاكمة العقلية عن العمل والتفكير، وتغييب عملية البناء الضروري لقواعد صحيحة لمعنى ودور النقد وأهميته الحيوية في المجتمعات العربية والإسلامية.

عن طريق متابعتنا للأحداث السياسية والفتن الطائفية المتلاحقة الأخيرة نرى ان معظم وسائل الإعلام العربية العامة والخاصة والتابعة لدول العالم الثالث عموماً لا تزال بعيدة جداً عن التعامل العقلاني والمنطقي مع التحولات الكبيرة التي يمر بها عالمنا العربي والإسلامي.. فالحقيقة مغيبة وضائعة، وإعلامنا مستغرق في الخيال والأحلام الوردية والتطبيل الإعلامي المضلل عن عمد وقصد، بهدف تغييب الصورة الصحيحة للواقع بما يخدم مصالح قوى فئوية وأنظمة سلطوية مشبوهة، بل ويمرر مختلف أشواط التآمر السافر الذي غدا مكشوفاً ودون حياء أو حرج.. وأما جمهورنا العربي فهو لا يزال ساكنوجالس باسترخاء في موقع الضحية الذييتلقى مشاهد الكوارث من حوله من دون أن يحرك ساكناً في أي اتجاه.

ثانيا : الطائفية:

لم يرد في القرآن الكريم لفظ الطائفية أبدا، وإنما ورد لفظ الطائفة بصيغة المفرد والمثنى (٢٣) مرة، معظمها بمعنى المجموعة من الناس، سواء كانت مؤمنة أو كافرة أو منافقة[١٢]. وفي لسان العرب: الطائفةُ من الشيء جزء منه[١٣]، وفي الحديث (لا تزالُ طائفةٌ من أُمتي على الحقّ) الطائفةُ: الجماعة من الناس: أن البناء اللفظي لكلمة الطائفية يحمل معنى تحرك الجزء من الكل دون أن ينفصل عنه، بل يتحرك في إطاره وربما لصالحه لقوله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)[١٤]. فالطائفية مصدر اشتق من الطائفة، والطائفة هي مجموعة من البشر ، تتحرك من الكل في

إطار جزئية معينة تكون قد اختارتها وتعصبت لها، أو تبنتها مقولةً أو مذهباً أو رأياً ، وبدأت تكرس جهودها لإبرازها على حساب مشتركات مع الكل الذي تنتمي إليه ، فهناك مثلاً أمةٌ مسلمة وهناك طوائف داخل هذه الأمة، فالطائفة أحياناً تتجاوز أهمية الانتماء إلى الأمة لتركز على قضايا محددة تكون قد تبنتها، ويقال طائفيٌ لذلك الإنسان الذي يعلي ما التزمته الطائفة أو تبنته على المشتركات مع الأمة، ويعطيها من الاهتمام أكثر مما يعطي لتلك المشتركات ، وبالتالي يصبح رغم اتصاله بجسد الأمة الكبير يكاد ينفصل عنه (١٥) .

الخلاصة أن الطائفية كمفهوم لغوي وفكري وشرعي هي عبارة عن تجسيد لعدد من الناس (أقلية) متحركة في إطار الكل دون أن تنفصل عنه ، ولم تكن الطائفية – تبعا لهذا المعنى – مشكلة في عالمنا العربي والإسلامي ولا في مجتمعاتها ، بل كانت في غالب الأحيان مصدرا للتنوع والقوة والاجتهاد ، بل وسببا في دخول كثير من الناس في الإسلام – سواء كان المسلمون أكثرية أم أقليةفالإسلام صهر جميع الأعراق والأجناس في بوتقته ، فلم يعد هناك أقلية وأكثرية في الإسلام ، فالكل مسلمون سواء كانوا فرسا أو روما عربا أو عجما ، فالبخاري ومسلم والترمذي والنسائي والغزالي والقرطبي وصلاح الدين وغيرهم من العلماء والأمراء ، كلهم مسلمون دون ذكر لجنس أو لون أو طائفة أو بلد .

ثالثا": الطائفية والاستعمار:

هناك تلازم تاريخي بين الاستعمار والطائفية ، فما حل الاستعمار بأرض إلا وكان سلاحه الأبرز فيها الطائفية، أي استغلال مفهوم الأقليات في تلك البلاد لاستخدامها واللعب بورقتها ضد الأغلبية – كما حصل في البلاد العربية والإسلامية أثناء فترة الاحتلال العثماني والصفوي والفرنسي والإنكليزي والإيطالي وغيره، حيث لم يبرز هذا المفهوم (الطائفية) باعتباره إشكالية أو أزمة إلا في القرنين الأخيرين خاصة، وذلك تحت تأثير عوامل داخلية وخارجية في ظرف تاريخي معين ، ساعد على إحداث نوع من التفاعل بين العوامل الداخلية والمؤثرات الخارجية.

لقد استثمرت الحركة الصهيونية العالمية موضوع الطائفية عن طريق ما تم التعرف عليه من أدبيات ومحاضر مؤتمرها العالمي في (بازل) في سويسرا عام ١٨٧٩م ،والذي أصدر قرارات خطيرة ومهمة منها (نجح اليهود في نشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرنا، مما جعل الأمم تنشغل بخطر جيرانها عن الخطر اليهودي)[١٦]. وفي العصر الحديث استثمرت الولايات المتحدة الأمريكية الحليف الاستراتيجي لإسرائيل دفة مصطلح الطائفية، ومحاولة دعم الطوائف المتطرفة عقائديا في المنطقة العربية الإسلامية، وذلك من أجل إشعالها بالعنف، وإشغالها عن مجرد التفكير في مهاجمة إسرائيل أو حربها. وفي هذا الاطاربرى زبغنيوبريجينسكي مستشار الامن القومي في زمن الرئيس الامريكي جيمي كارتر وأول من دعا لتفكيك النظام الإقليمي العربي، وإعادة تشكيله على أسس عرقية وطائفية أن أفضل وسيلة لتفتيت الأنظمة والدول والشعوب هي تعميق التعدد المذهبي والطائفي والعرقي، عن طريق تمكين طائفة بعينها ودعمها على حساب بقية المكونات، وبهذا ستعاني تلك المجتمعات من مشكلة دائمة، تتعلق بخلق التوافق النسيجي فيما بينها [١٧]. وهو ما نراه واضحا" في الصراع الدائر بين السعودية وايران او بين تركيا وايران وما تكون لهذه الدول من محاور دخلت فيها دول اخرى ، ان هذا الصراع الذي يفتح صفحات مشروع كبير يرتبط بعقد سياسية اكثر منها دينية وهي وسيلة لتطبيق ما يسمى بالفوضى الخلاقة التي اعلنت عنها رسميا" الادارة الامريكية على لسان الرئيس الامريكي السابق جورج بوش الابن والتي تدعو الى تشكيل شرق اوسط جديد[١٨].

رابعا" :السياسة والطائفية :

في معظم الأحيان تكون "الطائفية" السياسية مكرسة من ساسة يستغلون الدين او المذهب للحصول على "عصبية" كما يسميها ابن خلدون أو شعبية كما يطلق عليها في عصرنا هذا ليكون الانتهازي السياسي قادرا على الوصول إلى السلطة. إن مجرد الانتماء إلى طائفة أو مذهب لا تجعل الإنسان المنتمي إلى تلك الطائفة طائفيا كما لا يجعله طائفيا عمله لتحسين أوضاع طائفته أو المنطقة التي يعيشون فيها دون إضرار بحق الآخرين، ولكن الطائفي هو الذي يرفض الطوائف الأخرى ويسلبها حقوقها أو يكسب طائفته تلك الحقوق التي لغيرها

تعاليا عليها أو تجاهلا لها وتعصبا ضدها.عن طريق ما ذكرنا فان الدعاية الطائفية هي محاولة التأثير على الراي العام وعلى سلوك المجتمع عن طريق توظيف افكار ومعتقدات واراء دينية معينة ليس بالضرورة ان تكون صحيحة من اجل تحقيق اهداف ومكاسب سياسية .وفي عصرنا الحاضر اصبحت الدعاية الطائفية اكثر قوة وتأثير وذلك بسبب ما وصلت له وسائل الاعلام من تقنية وتطور ففي منطقتنا العربية هنالك العديد من الفضائيات التي تقف ورائها اجندات سياسية واقليمية تبث افكارها على الجمهور العربي وهي تغذي الطائفية وتقضي على روح المواطنة والانتماء بغطاء ديني والمؤسف انها اصبحت مؤثرة ولها جمهور واسعوعندما نتكلم عن الدعاية الطائفية في المنطقة العربية فان خير مثال لنا في ذلك هو العراق حيث يتحدث الكثير من المروجين للدعاية الطائفية في العراق عما يسمى بالواقع العراقي، مكونات الشعب العراقي، تقسيم العراق، الروافض، الوهابيين، التكفيريين، الخوارج، المثلث السني، الجنوب الشيعي. ان هذه النعوت خاطئة علميا ولا تنطبق على المجتمع العراقي عند تحليلها ومحاولة تطبيقها واقعيا على افراد المجتمع، الذين يوصفون به، سواء كانوا افرادا ام مناطق، اضافة الى ان هذه المسميات هي في هدفها السياسي الدعائي لإيهام الاخر بانه ليس عراقيا، متناسين او يحاولون ان يتناسوا ان كل الشعوب في العالم لم تكن يوما متجانسة ديموغرافيا او ايديولوجيا، والامثلة على ذلك لا يمكن حصره[١٩] .ان الواقع الطائفي والتمزق الذي يعيشه المجتمع العراقي الان، لم تكن له جذور حقيقية، رغم المغالطات الكثيرة التي يحاول البعض، بتحليلات ايحائية، ان يعكس عنها صورا غير منطقية. ان الصراع العراقي الداخلي في حقيقته، صراع لقوى دولية اقليمية، لكنه يأخذ تبريرات طائفية او صراع مصالح وتعدد سلطات غير متوافقة في ادارة البلاد، وهو ناتج عن خلخلة وضعف اركان الدولة العراقية ومجتمعها، نتيجة احتلال دمر مؤسسات الدولة العراقية وبنيتها الاجتماعية. كما ان اغلب القوى والاحزاب والتكتلات السياسية العراقية التي ظهرت بعد ٢٠٠٣ بدعايتها الطائفية ومؤسساتها الاعلامية، تروج للفكرة الايديولوجية المعتمدة على الطائفة، التي تحاول ان تصور ان الطرف الاخر هو العدو الاول، وبالتالي تسعى لبناء فكرة تقوية مجموعات ضيقة الافق

على اساس اضعاف وتمزيق البنية الكلية للمجتمع العراقي. وفي النظر لأساس الطائفية في العراق سنجدها ليست اجتماعية البنية او الاساس، وانما هناك بعض المؤمنين بهذه الافكار الضيقة من ذوي المصالح الإقليمية، ولديهم امكانياتهم الاعلامية وخطابهم الذي يؤسس لدعاية سياسية طائفية، تبث رسائلها للمجتمع، وبالتالي تنمي هذه الافكار العقيمة وتفتت المجتمع وتحوله الى مكونات متناحرةفي هذا السياق الاعلامي يقول نعوم تشومسكي الكاتب الامريكي في كتابه (هيمنة الاعلام الانجازات المذهلة للدعاية): (الدعاية التي تتم بإشراف الدولة حينما تدعمها الطبقات المتعلمة وحين لا يسمح بأي انحراف عن الهدف، بإمكانها أن تحدث اثراً كبيراً. ذلك كان درساً تعلمه هتلر وكثيرون غيره، ويتم اتباعه حتى اليوم)[٢٠]. لذا فأننا يمكن ان نرى بروز دعاية سياسية عراقية تغذيها قوى سياسية تمتلك سلطة ومالا وقدرة على التوجيه وتستخدم هذه القوى وسائل اتصال مختلفة ابتداء من التلفزيون ووسائل الاعلام الحديثة والانترنت والفيس بوك، وكذلك الوسائل التقليدية التي تؤثر بشكل اشد واقسى، كالمؤتمرات والخطابات السياسية المتشنجة التي تزكم العراقيين وتقصف عقولهم بأفكار عدائية، تجعلهم حائرين في امرهم. ففي رؤية بسيطة لمضمون خطب بعض الساسة العراقييننالذين يقفون خلف الطائفية اكدت ان الجميع يحذر جمهوره من العدو الداخلي الاخر، بمسميات مختلفة للطائفة الاخرى، وبالتالي اصبحت هناك مسميات معروفة ومتداولة للتعريف بالطائفة الاخرى، فضلا عن ان هذه الخطب تدعم الهجوم على الاخر بصيغ تحريضية تارة وتخويفية تارة اخرى، وتعتبر الاخر غريبا عن المجتمع ومسلوخا عنه[٢١].

عن طريق ما تقدم نستنتج ان هذه الدعايات تسعى لهدف مركزي هو تفتيت الدولة العراقية الحديثة ومجتمعها المتماسك، وقد نجحت في بدايتها الا انها اضمحلت وتراجعت رغم قدراتها ومؤهلاتها وهي في بداية اندحارها.

خامسا": الأعلام العربي والطائفية .ما المطلوب ؟:

بما ان الاعلام له الدور الاكبر في رسم خارطة ادراك الجماهير . فالإعلام الظلامي ينتهي بخطابه إلى إقناع الجماهير بالخضوع لقوىً خارجيّة أو داخلية تسعى وراء استغلال ثروات

الشعوب وضمان أسواقٍ واسعةٍ لبيع وفرض إنتاجها، وهو الضياع الذي يفرضه لتحقيق (مصطلح المصالح)، كالمصالح الأمريكية والمصالح الإنكليزيّة والمصالح الفرنسيّة ومن أجلها تشتعل الحروب وتحاك المؤامرات والفتن.لقد بدأت منذ أواخر القرن العشرين حرب المعلومات والمعلوماتية عن طريق وسائل الإعلام حيث إنّها أساس وجود الإنسان المعاصر، وأصبحت الدولة الأقوى هي الأكثر معلوماتيّة وبصفة خاصّة المعلومات التكنولوجية المتقدّمة المعتمدة اعتماداً كاملاً على الإلكترونيات التي تكاد تكون محتكرة من دول تعمل بجهد على عدم تسرّبها إلى دول أخرى، خاصّة ما يتّصل بالصناعات العسكريّة الدقيقة والسيطرة على بنوك وقواعد ومراكز المعلومات، وهكذا يتأكّد أنّ الإعلام يمكن أن يصير طاغية العصر المؤثر في حياة الشعوب سلباً أو إيجاباً وهو الحاضر دوماً في كلّ مشروعٍ حضاري أو تنموي وفي كلّ خطّةٍ تنمويّةٍ أو توجّهٍ تنموي باعتبار التنمية هي أساس كل مشروعٍ حضاري.

وبدل أن يكون الإعلام أداة إيجابية لخدمة أغراض التنمية والسلام الاجتماعي وتحقيق التقارب والتفاهم بين الناس على المستويين الداخلي والخارجي فإنه في الوقت نفسه، تحول إلى أداة هدامة تسيء إلى استقرار الدول والمجتمعات وتنشر الكراهية بين فئات المجتمع الواحد وأصحاب الديانات والثقافات المختلفة على المستوى الدولي وهذا ما يقوم به ما يمكن أن نطلق عليه " الإعلام الطائفي". وهذا البث الإعلامي الطائفي هو صورة من الصور الشاذة في العمل الإعلامي، مخالفة لمنطق الإعلام وقواعده العلمية التي يمكن تلخيصها بأنّها: تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، بطريقة صادقة دون أي تحريف، لتكوين أكبر درجةٍ من الوعي لدى الجماهير(٢٢)بينما يقوم البث الطائفي على التحريف والتضليل الذي يهدم الوعي ويشتت الفكر بغرض إيجاد جو من التفرقة في المجتمعات لإضعافها، وذلك من أجل تحقيق أهداف السيطرة الماديّة واستغلال الثروات.لذلك يمكننا تعريف الاعلام الطائفي هو ذلك الخطاب العاطفي الذي يتكأ غالبا على الدين ويستحضر التاريخ التصادمي بين الطوائف المختلفة، ويسعى لخلق الاكاذيب والشائعات، بهدف التقليل من شأنه وازدرائه، عبر مختلف وسائل الاعلام المؤثرة في عالمنا اليوم.وهنا ينبغي

التمييز بين هذا الخطاب، الذي يستهدف التحريض واحداث الفتنة بين طوائف الامة وبعضها البعض عبر تزوير الحقائق وتهييج المشاعر، وبين الخطاب الديني الذي يتكأ هو الاخر على الدين بصورة اساسية ولكنه لا يحمل اي نفس تصادمي او تحريضي. وانما يستهدف ايضاح وتعميم مفاهيم الدين وقيمه العليا مضافا الى جوانبه التشريعية سواء المتعلق منها بالعبادة او المعاملات. وبالمثل أيضا ينبغي التفريق بين الخطاب الطائفي والخطاب التاريخي الذي ينزع باتجاه دراسة التاريخ بصورة موضوعية واستعراض احداثه بغية الاستفادة والاتعاظ منها وليس استصحابها لإذكاء الفتن الطائفية بين الطوائف، كما هو حال بعض المجادلين اليوم في الشأن التاريخي. إن هذاالعمل جزء من منهج قديم يقوم على إثارة نقاط الاختلاف لبثِّ الفتن، سواءٌ منها الدينية أو الاجتماعيّة أو السياسيّة، وقد مارسه اليهود في المدينة المنوّرة قبل الإسلام بين قبيلتي الأوس والخزرج فأوقع بين القبيلتين العربيتين حروباً طاحنةً حتّى أنقذهما الله سبحانه وتعالى بالإسلام.واستمرّ بثّ الفتن الطائفيّة (عرقيةً وقبليّةً) بعد ظهور الإسلام، وتغلغل الخلاف في جسد الأمّة الإسلاميّة منذ ذلك الوقت بصورٍ اجتهاديةٍ ومذهبيّةٍ في ظاهرها، وسياسيّةٍ واجتماعيةٍ في جوهرها، وقدكان هذا المنهج اليهودي المنشأ، يأخذ أشكالاً متعدّدةً في شحن أسس وعوامل التفرقةِ، إلى أن جاء عصر الإعلام الجماهيري فأخذ شكله الطائفي السلبي، فقد كان ينشط هذا الفكرُ الطائفي في الماضي عن طريق الاتّصال الشخصي أو الجمعي، لكنّه وجد في وسائل الإعلام الجماهيري أرضاً خصبةً لتوسيع بثِّ أفكارهِ المنحرفة أو التي يبحث عنها ليقوم بتحريفها وتسويقها عبر الإعلام المقروء أو المسموع أو المرئي وحتى الإلكتروني، وقد استفادت الصهيونية من وسائل الإعلام الحديثة، حيث أدركت في وقتٍ مبكّرٍ قوّة تأثير هذه الوسائل، وخاصّة الفضائيّة منها، فأخذت تموّل وتدعم محطّات ناطقة باللغة العربيّة، وبما يخدم أغراضه الظاهرة والخفيّة، فلا عجب أنّ نجدَ في الخطاب السياسي لبعض الإعلام العربي أحياناً تطابقاً تامّاً مع الخطاب الصهيوني إن لم يزد عليه[٢٣]. وقد ابتليت المنطقة العربية خلال السنوات الأخيرة بهذا النوع من الوسائل الإعلامية التي تقوم برامجها وتوجهاتها على النبش في صراعات الماضي وإعادة إحياء القضايا

السياسية والدينية والمذهبية الحساسة والمثيرة للكراهية والحقد بين أصحاب الديانات والمذاهب، فضلا عن الإساءة إلى المقدسات والمعتقدات.

ومن صور هذا الخطاب ما تبثّه بعض الفضائيّات عن التاريخ الديني وتجعلُ منه مدخلاً لتغذية الخلاف بين المذاهب والأعراق، كلّ ذلك للوصول إلى إحباطِ الأجيالِ الصاعدةِ في عالمنا العربي والإسلامي، وتيئيسها من قدرتها على بناء مستقبلٍ حرٍّ ومستقل ولإقناعها بتقبّلِ الأمر الواقع الذي تفرضه المخطّطات المعادية مستفيدةً من تشويه الصورة الدينية والتاريخيّة وربطها بالتخلّف والجهل. وقد كان الإعلام الطائفي خلال الفترة الأخيرة أحد أهم مصادر التوتر في أكثر من منطقة على الساحة العربية حيث يتم استخدامه لإثارة الصراعات بين أبناء الوطن الواحد أو بين أصحاب الأديان والمذاهب على مستوى المنطقة كلها، وهذا ما جعله يمثل خطرا حقيقيا يواجه مجتمعات المنطقة ويهدد سلمها الاجتماعي، ثمّ يأتي البث الإعلامي الطائفي ويشحن النفوس بأفكارٍ تكفيريّة تزعم أنّ ما يمارسه الآخرون في إطار الدين هو خطأٌ في أحسن الأحوال، حتّى يصل الأمرُ إلى درجة التكفير واستخدام العنف كواجب ديني لتصحيحِ المسارِ حسب وجهة نظر طرف اتجاه طرف آخر، وهذا يقود إلى النزاعات الفكريّةِ الحادّة وصولاً إلى الصدامات المسلّحة.وهنا يأتي دور الأفراد المستعملين لتفعيل هذا الصراع عن طريق النشاط المحموم في المحطّات الناطقة بالعربيّة، سواءٌ يعلم هؤلاء الأفراد أو لا يعلمون أنّهم صاروا أدواتٍ لخدمة منهجٍ معادي لشعوبهم .وتقوم أموالٌ مشبوهة بدعم محطات البث الطائفي في العالم العربي وتُمِدُّ جميع الأطراف المتناقضة ليظهر على شاشاتها أشخاص متعصّبون يقومون بمهاجمة الآخرين، من مذاهب أو أئمة أو علماء، كما ينبشون بطون الكتب القديمة ليجدوا عبارةً كُتبت في ظرف خاص وربما تحت تأثير مادي أو معنوي معين ليجعلوا منها قضية، والمشكلة أنّ هذه المحطّات الناطقة باللغة العربية يُنْظَرُ إليها أنّها جزءٌ من الإعلام الإسلامي وهذا خطأٌ فادح فهذا مجرّد إعلامٍ طائفي ، ويصحّ على محطات البث الطائفي وصف الإعلام التخريبي من أي مكان بث وإلى أي فريق انتسبت، وأمّا الإعلام الإسلامي

فهو إعلامٌ مختلفٌ تماماً في منهجه عن هذه الصورة الضيّقة، هذه هي الصورة بشكل مختصر للبث الطائفي الذي لابد من مواجهته بطرق عقلانية واعية نذكر أهمّها باختصار:

أن يقوم العلماء من كافة المذاهب والطوائف بالتحذير من محطّات البث الطائفي، واعتبارها عملاً مخرّباً ينبغي عدم الالتفات إليه، بل ويجب التوهين من شأن الأشخاص الذين يظهرون عن طريقه، واعتبارُهم مأجورين وجهلاء لا وزن لأفكارهم، سواءٌ كانت ضد هذا الفريق أو ذاك.

ويجب أن ندرك جميعاً "أفراداً وعلماء" أن أيَّ فكرةٍ تقود إلى هدم قواعد التواصل وأسس التفاهم، هي ليست من الدين ولا المذهب بشيء، وعمل صاحبها التخريبي، لا يفيد شريعةً ولا مذهباً ولو تراءى له ذلك، بل إنه يسئ إلى الجهة التي ينتمي إليها، لأنّ ضرر هذا العمل في تمزيق وحدة الأمّة يجعله شرّاً مطلقاً ينبغي منعه واجتثاثه.ومن هنا ينبغي على علماء الدين جميعاً التأكيد على رفض كلِّ مصدرٍ شخصيٍّ أو إعلامي يبث الفرقة والعداء، لأنّه يهدم وحدة وهي أعظم نعمةٍ اجتماعيّة وإنسانيّة، قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بيم قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)[٢٤] فالنعمة هي التأليف والأخوة، وأما حفرةُ النار: فهي التفرقة بين فئات الأمّة، وتمزيق وحدتها، التي قال عنها الرسول الأكرم ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) والخائضون في حفرة النار والتفرقة، يُمزقون اللحمة الإنسانية، فما الناس في المجتمع إلاّ أخٌ لك في الدين أو أخٌ لك في الإنسانية قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)[٢٥].

–عدم الغلو في الخطاب الديني: والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد بدافع الأنانية والأهواء، هذا الغلو الذي تكون وراءه أحياناً مصالح ذاتيّة وتعتريه الأهواء والنزوات الفكريّة، وأحياناً قد تكون دوافعه بريئةً لكن نتائجها سلبيّة تفرّق ولا تجمع وتؤجّج العداوات والتخاصم بدل

الأخوّة والمحبة، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من الغلو في الدين ،ومحاسبة وسائل الاعلام التي تروج للغلو وزرع الكراهية .

– منع نشر أو عرض أو تداول أو ترويج أو تشجيع أو التستر على أي عمل فني أو ثقافي أو فكري أو سياسي بهدف الدعاية الطائفية والمذهبية بما يضعف روح المواطنة والتعايش السلمي بين تكوينات المجتمع العراقي بما في ذلك الصحافة والاعلام والكتب والعروض المسرحية والسينمائية والغناء والموسيقى والأناشيد والفنون التشكيلية وانواع الفنون والآداب الأخرى. ويُمنع ذلك منعاً باتاً.

– منع طبع أو نشر أو استيراد أو بيع أو تداول أية كتب أو مطبوعات أو أفلام أو ألعاب أو وسائل إيضاح للأطفال والناشئة من شأنها تكريس روح الطائفية والمذهبية وكره الآخر وازدراء المذاهب الأخرى. ويُمنع ذلك منعاً باتاً.

– تشريع قوانين تجرم الطائفية وتطبيقها .

– انشاء قنوات اسلامية بعيدة عن التعصب تعكس الصورة الحقيقية للعرب والاسلام .

– ان تكون لغة الخطاب الاعلامي مبنية على الحقائق وبعيدة عن الانفعالات وتتسم بالصدق والموضوعية .

– رفع المحاذير التي تحد من التغطية الاعلامية الصحيحة الصادقة واتاحة نقل المعلومات بصدق .

– تفعيل قوانين ميثاق الشرف الاعلامي بين الدول العربية .

استناداً على ما سبق ، يبدو أن وسائل الإعلام، وجدت مناخًا من الحرية المتاحة، تأثرت بالصراعات السياسية والطائفية من جانب، ولم تتمكن نتيجة لحداثة التجربة والتدخلات الخارجية من انتهاج مواقف تعبر عن الحيادية المطلوبة، وتبني خطابا وطنيٍا جامعا يقلل من حدة أخطر أزمة تواجه بناء الدولة ، ممثلة في الطائفية من جانب آخر،على الرغم من أن مجمل الدساتير سمحت بحرية الرأي والتعبير، لكن ثمة مؤشرات عديدة تؤكد تداخل السياسي بالطائفي، سواء فيما يخص الاستهداف المتعمد للإعلاميين والصحفيين على أساس طائفي،

أو فيما يتعلق بسوء استخدام الوسائل الإعلامية، لتكون معظمها بمثابة إحدى أدوات التوجيه السياسي المقصود خدمة لطائفة محددةلتبقى بذلك المشكلة الطائفية المتجذرة والواضحة بأغلب وسائل الإعلام العربية، ليست انعكاسًا للصراع السياسي في الداخل فقط، بل إن لها امتداداتٍ إقليميةً وأخرى دولية، تؤثر عن طريق التمويل وتوجيه الرأي والحض على العنف؛ لتحقيق مكاسب ذاتية، وهو ما يقتضي توافق الإعلاميين في المنطقة العربية على وضع مبادئ أساسية لتنظيم البث الفضائي، أبرزها ضوابط تمنع بث ما يؤدي إلى تأجيج الصراعات والحروب الداخلية، أو تفتيت الوحدة الوطنية للدول، أو إثارة النزعات المذهبية والطائفية.

الخاتمة :

ان مشكلة الاعلام الطائفي في المنطقة ناشئة من مشكلة سياسية اكبر، يمكن تسميتها بالطائفية السياسية، والأخيرة كمفهوم يشير إلى الدولة التي تتبنى سياسات طائفية. هذا يعني ان معالجة المشكلة والحد من مخاطرها ليست بالضرورة متوقفة على حلول وإجراءات سياسية، مع أهميتها، وإنما هي بحاجة لمعالجات قانونية وتربوية وثقافية واجتماعية وإعلامية، مضافا إلى المعالجات السياسية، التي ينبغي ان تكون في مقدمة المعالجات والرافعة لها. كما ان معالجة الاعلام الطائفي سينهي بالكامل المشكلة التابعة لها، واعني مشكلة التسعير الطائفي. ويمكن أن يكون التوجه لمعالجة المشكلة مدخلا ملائما لمعالجة المشكلة الأم (الطائفية السياسية). ومن أهم تلك المعالجات، ما يلي:

١- التعامل مع المواطنين على قاعدة المواطنة، وليس على أساس الدين أو المذهب أو الطائفة أو القبيلة أو المنطقة.

٢- تعزيز قيمة الحوار ومبادئه وأخلاقياته لحل المشكلات القائمة، بدلا من اللجوء إلى الوسائل العنفية.

٣- تنقية المناهج الدراسية من مفردات التكفير والتبديع لبعض الطوائف الاسلامية.

٤-إرساء مبدأ العدالة الاجتماعية، وإلغاء التمييز بمختلف أشكاله وأنواعه.

٥- سن قوانين صارمة تجرم خطابات التحريض الطائفي.

٦- تعزيز مبادئ حقوق الإنسان، ووضع قوانين لحمايتها.

٧- إيقاف القنوات الطائفية التي تبث الكراهية.

٨- نشر ثقافة التعايش والاحترام المتبادل.

٩- إيقاف مسلسل فتاوى التكفير والذبح.

وخلاصة القول ان مشكلة الطائفية في المنطقة، ذات الآثار الخطيرة، في جوهرها هي مشكلة سياسية في الأساس، وليست مشكلة دينية أو مذهبية أو اجتماعية. وبالرغم من إنها وجدت البيئة الملائمة لها، الأمر الذي وفر لها مقومات البقاء، إلا انه بمجرد معالجة أسبابها الحقيقية، ستتلاشى. وهذا بدوره سيجنب الأوطان من المخاطر المحدقة بها.

Toward the Arabic media approach to confrontation the sectarianism

Mohammed Rashid sabbar. Instructor

Abstract

We review in our research this sectarian problem, which has become sense of religious, ethnic and sectarian broader age we can eliminate more coherent and force countries that raged ended in a society or a country's disease has been to the media big role in sectarian pricing in the Arab region in order to relate to political agendas which on the other hand it requires that there be a role for the Arab media in the face of this sectarian sedition which is the essence of our research, which we talked it normalize "the Arab media discourse and the suffering and how it should be its role in this area as well as sectarian and communal relationship with colonialism and politics.

الهوامش:

١- مهند تهامي: النظام الاعلامي العربي ، دار اسامة للنشر ،الاردن ،٢٠١٢ ، ص٧٣.

٢- المصدر نفسه: ص٧٧.

٣- بسام مشاغبة: الاعلام الاسرائيلي وفن التضليل الدعائي ،دار اسامة للنشر ، الاردن ، ٢٠١٤، ص٨١ .

٤- خلدون عبد الله :الاعلام وعلم النفس ، دار اسامة للنشر،الاردن ، ٢٠١٠ ،ص١٥٢ .

٥- المصدر نفسه ،ص ١٥٦ .

٦- رحيمة الطيب عيساني : مدخل الى الاعلام والاتصال ،عمان ، دار الكتاب العالمي ،٢٠٠٨، ص ١٨.

٧- رحيمة الطيب :مصدر سبق ذكره ،ص١٩.

٨- المصدر نفسه : ص١٢٢– ١٢٣.
٩- محمد رشيد صبار : دور الاعلام العربي قي مواجهة تحديات العولمة ،رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ،الجامعة المستنصرية ،٢٠٠٥ ،ص٥١.
١٠- القران الكريم .
١١- ابن منظور :لسان العرب ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ص٩٣٦–٩٣٧ .
١٢- القران الكريم : سورة التوبة الاية ١٢٢.
١٣- محمد رشيد صبار :الدعاية الطائفية والراي العام العربي ،نشرة مركزالدراسات الاستراتيجية والدولية ، جامعة بغداد ،٢٠١٥.
١٤- المصدر نفسه.
١٥- محمد محفوظ:الدولة والطائفية في الخليج العربي ،مقال منشور في شبكة الانترنت aafagcenter .com
١٦- المصدر نفسه.
١٧- هيثم الهيتي :الدعاية الطائفية والراي العام العراقي، صحيفة المستقبل، بيروت،الاربعاء٩تشرين الاول ٢٠١٣ ، ص١٩.
١٨- المصدر نفسه.
١٩- المصدر نفسه.
٢٠- المصدر نفسه .
٢١- محمد الشيوخ :خطورة الاعلام الطائفي على الهوية الوطنية www.ainoor.com
٢٢- المصدر نفسه .
٢٣- بسام امشاغبة : مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٤ .
٢٤- القران الكريم سورة ال عمران الاية ١٦.
٢٥- القران الكريم سورة الحجرات الاية٧.